أثر الكاريكاتير فى تفكير الساسة

وكان ساستنا عندما ظهر الكاريكاتير يخافون أن يمسهم... كانوا يفزعون من رؤية صورهم وقد تناولتها الريشة بالسخرية والاستخفاف. وكان أشد هؤلاء الساسة ضيقا بالكاريكاتير مصطفى النحاس وعلى ماهر.. وكان أكثرهم فهمًا للكاريكاتير وحبًّا له أحمد ماهر..

ولم أجرب بعد أثر الكاريكاتير فى نفسى، فالصور التى رسمها لى صاروخان ورخا بعيدة عن شكلى الحقيق... ربما كانت أجمل... ربما كانت أقبح!

عبد السميع وحده هو الذى استطاع أن يرسمنى... وهو الوحيد الذى لم أتحدث عنه..

دردشة مع طه حسين

قال لى الأستاذ الدكتور طه حسين: إن أعظم ما استرعى انتباهه فى أثناء رحلته إلى لبنان وسوريا هذا النشاط

الذى لا يعرف حدًّا، ولا يقف عند نهاية. وبخاصة فى النواحى الثقافية..

وسألته : أما زلت عند رأيك أن هذا النشاط يوشك أن ينقل زعامة الأدب من القاهرة إلى بيروت أو دمشق؟

فضحك وقال : لقد كان هذا السؤال أول سؤال استقبلنى فى لبنان، وأول سؤال استقبلنى فى سوريا. وقد قلت لكل من سألنى : إننى أردت بما قلته فى مصر عن انتقال راية الأدب إلى اللبنانيين أو السوريين أن أحض المصريين على أن ينشطوا ويجدّوا فى مجال الثقافة والمعرفة. وأنا فى لبنان وفى سوريا أقول للبنانيين والسوريين إنهم إذا لم يستمروا فى نشاطهم وإنتاجهم فإن لواء الأدب لن ينتقل إلى أيديهم وسيظل دائمًا فى أيدى المصريين...

ويمضى الدكتور طه فى حديثه ليقول : إن كل ما أقصد إليه هو التحريض على الإنتاج الأدبى، والنشاط الثقافى، وإشعال نار المنافسة بين جميع البلاد العربية، ولا يعنينا بعد ذلك أن ينتقل اللواء من القاهرة إلى لبنان أو سوريا، وإنما الذى يعنينا أن يظل لواء الأدب والثقافة مرفوعًا ويستوى فى

o b e i k a n d l . c o m

ذلك أن تحميه أيدى المصريين، أو أيدى اللبنانيين، أو أيدى السوريين.. المهم هو أن يظل اللواء مرفوعًا.

وتطرق الدكتور طه من هذا الحديث إلى التعليق على الكلمة التى كتبها صديقنا ناصر الدين النشاشيبى فى يوميات «الأخبار» وقد وصف فيها طه حسين وهو يحاضر فى لبنان، وأشار إلى ما استقبل به من مظاهر الإعجاب والحفاوة والإجلال، من الناس والأساتذة، ومن المستمعين والخطباء... وقال إن طه حسين لم يجب على هذه الحفاوات كلها بحركة واحدة، ولم يشكر الذين رحبوا به، أو هتفوا له، أو قدموه.. وذكر أن هذا ليس غريبًا.. وعقب النشاشيبى قائلا: «فأنا أعلم أن طه حسين يعتقد فى قرارة نفسه أنه أعظم من أن يرحب به أحد، أو يهتف له أحد، وأشهر من أن يقدم له أحد. إنه يؤمن بأن كل مديح يقال فيه إنما هو أقل من القليل.. وكل ثناء يكال له إنما هو بعض الحقيقة وبعض الواجب»

وقال لى الدكتور طه: إننى أشكر ناصر النشاشيبى على هذه الكلمات الجميلة، ولعل هذا الشكر ينفى عنى اتهامه لى

بأنى لا أشكر المادحين! فالواقع أنى عندما أسمع كلمات الثناء ينتابنى خجل شديد، فلا أعرف بماذا أجيب، ولا اجد خيرًا من السكوت، بل لا أستطيع إلا السكوت.` وأحب أن أقول إنى كلما سمعت ثناء خيل إلىّ أنه ليس صحيحًا، أو أنه موجه إلى غيرى، فأنا حتى الآن لم أعمل شيئًا يستحق الثناء والمديح..

وإنى أومن كل الإيمان بقول الشاعر القديم :

وما أعجبتنى قط دعوى عريضة ولو قام فى تصديقها ألف شاهد

الشاعر الطبيب

حزنت لوفاة الشاعر الطبيب الدكتور احمد زكى أبوشادى. مات بغتة وهو أشد ما يكون حيوية ونشاطًا. وقد ترك بنتين وولدًا، وعددًا كبيرًا من دواوين الشعر باللغة العربية، ومجموعة من الشعر باللغة الإنجليزية، وبحوثًا كثيرة فى البكتريولوجيا والنحالة.

وقد هاجر أبو شادى إلى أمريكا هو وأسرته فى عام ١٩٤٩ وأقام بها، وأعلن فى ثورة غضب مما لقيه فى مصر.

أنه لن يعود إلى بلاده، ولن يكتب حرفًا باللغة العربية. ولكنه لم يكد يقيم في أمريكا حتى استأنف نشاطه الأدبي باللغة العربية، فأعد للطبع ديوانين من الشعر هما «الإنسان الجديد» و«النيروز الحر» وكان قد أصدر في مصر دواوين «أنداء الفجر» و«الشفق الباكي» و«الينبوع» و«فوق العباب» و«أطياف الربيع» و«عودة الراعي» و«من السماء».

ولم يستطع أبو شادي طيلة إقامته في أمريكا أن يقطع صلته بمصر، لقد عاش فيها بفكره، وقلبه، وكان يحس آلامها ويعبر عنها بقصائد نشرت في الصحف التي تصدر في أمريكا باللغة العربية، ونقلتها عنها المجلات الأدبية في مختلف بلاد العرب، ورددتها محطات الإذاعة.

وقبيل قيام الثورة المصرية، أذاع أبو شادي قصيدة في إحدى محطات الإذاعة هزأ فيها بفساد الحكم، وسخر من طغيان فاروق.

ولقد كتب أبو شادي عن سبب هجرته لمصر فقال:

إن الرجعيين والناقمين بدءوا يعرقلون جهودي، ويسعون

obeikandl.com

لمطاردتى فى عملى الحكومى، وأخذ الناشرون يرضون الرجعيين بالإعراض عن نشر كتبى.

وقبل أن يهاجر أبو شادى إلى أمريكا توفيت زوجته، وكانت سيدة إنجليزية فضلى شاركته الحياة منذ عام ١٩٢٢، ثم اصطدم بالمسئولين فى جامعة الإسكندرية وكان يعمل أستاذًا فيها.

ولقد كانت حياة أبو شادى العلمية والأدبية صراعًا عنيفًا بينه وبين خصومه العديدين... بعض هؤلاء الخصوم كانوا على خلاف معه فى الرأى فحاربوه بأسلحة شريفة. وبعضهم كانوا حاقدين عليه فاستعملوا ضده أسلحة الدس، والكيد، والغدر، وحاربوه فى رزقه وسمعته. حتى اضطر أن يبيع مطبعته فى السيدة زينب. وكان يقيم فى هذه المطبعة حيث يحرر مجلة أبولو الشهرية، ومجلة «الإمام» الأسبوعية.

وقد أسس جمعية أبولو لخدمة الشعر وأسند رياستها لأحمد شوقى فلما مات شوقى أسند رياستها لخليل مطران. وكان أبوشادى فى الواقع «دينامو» الجمعية. وطاقتها الكبرى. وكان ينظم اجتماعاتها، ويتولى شئون أعضائها وأكثرهم احتلوا مكانة مرموقة

obeikandl.com

فى الشعر، وأكتفى هنا بذكر أسماء من فارقونا إلى العالم الآخر بعد ما تركوا آثارا فنية باقية وهم : الدكتور ناجى، على محمود طه، ومحمد الهمشرى، وعبدالحميد الديب.

وقد باع أبو شادى كل ما كان يملكه عن أبيه المحامى محمد أبو شادى زميل سعد زغلول فى الدراسة والمحاماة. باع كل ما يملك وأنفقه على الكتب، والدواوين والمجلات الأدبية التى أصدرها، وقد دخل أبو شادى عدة معارك أدبية فى وقت واحد، حاربه أنصار القديم لأنه كان مجددًا. ولم يقف إلى جانبه أنصار الأدب الحديث، فقد كانوا شيعًا مختلفة، وكان يحارب بعضهم بعضًا بسبب انتساب فريق منهم إلى الوفد، وانتساب فريق آخر إلى الحزب الوطنى، وانتساب فريق ثالث إلى حزب الأحرار الدستوريين! وكانت هذه الفرق كلها ـ قديمها وجديدها ـ تناصب أبا شادى العداء، وتحمل عليه حملات شعواء قاسية!

وقد هاجمه أحد الكتاب فقال : إن الأطباء يعدون أبا شادى شاعرًا والشعراء يعدونه طبيبًا!

وكان رحمه الله يضيق بهذا الأسلوب فى الهجوم.

مدارس الأدب

كانت مدارس الأدب فى مصر أربعا، مدرسة القدماء ويتزعمها رجال الأزهر ودار العلوم. ومدرسة للمحدثين بزعامة شكرى والعقاد والمازنى، وقد انقسم ثلاثتهم، فاعتزل عبد الرحمن شكرى الحياة العامة واندمج العقاد فى مناصرة الوفد. ووقف المازنى موقف المناصر للحزب الوطنى حينًا والمعادى للوفد فى جميع الأحيان!

وهكذا أصبحت هذه المدرسة مدرستين أو ثلاثا!

ومدرسة أخرى للمحدثين بزعامة طه حسين وهيكل وعبد الرازق وعزمى وهؤلاء كانوا يناصرون حزب الأحرار.

ومدرسة زكى أبو شادى وإسماعيل مظهر ومن معهما من شعراء وأدباء كانوا لا يزالون فى مستهل حياتهم الأدبية.

وكان لطفى السيد وخليل مطران وشوقى يحاولون جهدهم ألا يدخلوا فى هذا العراك. وكانت أفكار لطفى السيد مع طه حسين وشيعته. وكان خليل مطران مع النازعين إلى التجديد. وكان هوى شوقى مع الجميع إلا العقاد والمازنى!

obeikandl.com

حرية القافية

ولقد عرفت زكى أبو شادى فى عام ١٩٣٢ ودعانى إلى زيارته فى جمعية أبولو بحارة عمر شاه بالسيدة زينب. ونشر لى قصيدة فى مجلة أبولو. وقد خالفته فى آرائه، وكان يرى أن يتحرر الشعر من قيود القوافى. وكنت أرى أن القافية شىء مقدس. كان فاقهًا. وكنت جاهلا، فقد أصبحت أميل إلى تحطيم قيود القوافى وما هو أكثر من القوافى!

وقد حملت عليه فى بعض الصحف الأدبية وداعبته بنظم شعر على طريقته: طريقة القافية الحرة.. وكان يلقانى فيعاتبنى بحرارة. وكان يظننى عدوا، والواقع أنى ما كرهته، ولا ناصبته العداء ولقد أدرك حقيقة فهمى له، وموقفى منه فى عام ١٩٤٤، وتكرر لقائى له، وتبادلنا الزيارة.

ولقد كان أبو شادى صاحب آراء سديدة فى الشعر. ولكنه لم يستطع أن يعبر عن هذه الآراء بشعره، فقد كان برغم دعوته إلى التحرر من قيود الشعر: كثيرًا ما ينظم على طريقة القدامى. ويتخذ نفس تعبيراتهم وطريقتهم. كأنما يريد

أن ينفى عن نفسه تهمة العجز عن التقعر فى اللغة..

وكانت موهبته سليمة، ولكنه عرضها للعطب بسبب سرعته فى النظم. فليس أخطر على موهبة الشاعر من السرعة.

ولقد أصابه هذا الخطر. وأصبح ما تركه من دواوين تعد بعشرات الألوف من الصفحات فى حاجة إلى غربلة وتنقية حتى يتميز الشعر الزائف من الشعر الصحيح.

ولقد ظل أبو شادى حتى آخر رمق من حياته يكتب. ويؤلف، ويذيع فى صوت أمريكا. وتكلم فى إذاعته هذه عن كتاب الشعر العربى فى المهجر الذى ألفه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن، وعتب على المؤلف أنه لم يخص الشاعر المصرى - أى أبو شادى - إلا بصفحتين اثنتين فى حين أفسح الصفحات الطوال لشعراء لا يستحقون مجرد ذكر أسمائهم!

واتهم الشاعر إليا أبو ماضى بأنه اقتبس قصيدته «لست أدرى» من شاعر إنجليزى.

إن أبو شادى العالم الأديب الشاعر سيظل شيئًا كثيرًا. وسيبقى طويلا فى تاريخنا الأدبى.

obeikandl.com

ساعات معها.. وأيام معه!

اتصلت بى فى التليفون ولو لم تبادر وتذكر اسمها لما تصورت أنها سيدة.. فى صوتها نبرة شاب، وبحة صبى!

قالت إنها تحمل لى رسالة من صديق يقيم فى دمشق، وسألتنى كيف نتقابل لتسلمنى الرسالة؟ وكنت قد سمعت عنها الكثير مما يغرى بلقائها، فلم أتردد فى أن أضع يومى كله تحت أمرها.. والتقينا!

لم تكن بعيدة كل البعد عن صورتها التى ارتسمت لها فى ذهنى قبل أن أراها.. فى الخامسة والعشرين، ذكية جذابة، البديهة حاضرة والعينان فى غيبوبة.. لسان فصيح، وقوام أكثر فصاحة، وملامح مهذبة، وفكر سليط!

كانت فى حديثها تدور حول نفسها.. تتكلم عن أهلها وأصدقائها، وزوجها، وبنتها الوحيدة، وشعرها الذى نظمته باللغة الفرنسية، وقصتها الجديدة التى كتبتها باللغة العربية.. وهى تنطق الكلمات نطقًا صحيحًا، وتردد الأغانى الخفيفة، وتروى شعرًا جميلا لنزار قبانى، والمتنبى!

وأهدت لى قصتها الجديدة (أيام معه) وقلت لها إنى سأقرأ القصة بشغف، فإن بطلها صديق.. ورفعت يدها فى وجهى احتجاجًا، وقالت: لا تظن أنى أعنى فى قصتى فلانًا.

فقلت لها: أنا لا أظن.. أنا أعتقد!.

وانصرفنا على أن نلتقى مرة أخرى.

وقصة (أيام معه) تقع فى ٤٠٠ صفحة من الحجم المتوسط، وقد طبعت بأناقة، وذوق، وترف.. ووضعت بين دفتى غلاف يثير شهوة القراءة!!

بطلة القصة فتاة تمردت على تقاليد عتيقة.. تسلب المرأة حقها فى حرية التفكير، وحرية العاطفة. فليس للمرأة رأى تعبر عنه، ليس لها أن تحب أحدًا، أو يحبها أحد.. وهذه التقاليد لا تغفر للمرأة أن تعرف رجلا تحبه علنًا.. وتغفر لها أن تزل فى الخفاء.. تطبيقًا للقاعدة المعروفة: (إذا بليتم فاستتروا).

وأحبت الفتاة كهلا، فى حدود الأربعين، وكانت مخطوبة لشاب جميل يحبها.. ولا تحبه.

obeikandi.com

الكهل موسيق - هكذا تقول القصة -والشاب طالب جامعى.

والفتاة تشبه المؤلفة نفسها.. كوليت سهيل خورى. وهى تصور نفسيتها الثائرة المتمردة، عندما أرادت أن تكمل دراستها.. إن العادات الصارمة تتعقبها. الأسرة تقف فى وجهها بالمرصاد، وهى تسأل: لماذا يرفض أبى أن أتعلم.

كيف.. كيف أقبل أن أعيش حياة تافهة؟

كيف أرضى أن أعيش بين أربعة جدران، أقتل طموحى بالملل، وأدفن آمالى فى انتظار العريس؟

لا.. أنا لم أوجد فقط لأتعلم الطهى، ثم أتزوج فأنجب أطفالا. ثم أموت.

إذا كانت هذه هى القاعدة فى بلدى، فسأشذ أنا عنها.. أنا لا أريد أن أتزوج!

أنا أريد أن أعيش حياتى، لا أن ترسم لى حياتى.. أريد أن أحصل على شهادات عالية، أريد أن أدرس الموسيقى، أن أتعلم الغناء، أن أكتب الشعر، أن أرسم، أن أعمل، أن أشتغل، أن أسافر.. أريد. أريد. أريد.

وكم وكم يريد طموح السابعة عشرة!

وتمضى كوليت فترسم جو الأسرة، وجو المجتمع، وترصد نظرات الاتهام التى ترهقها من الناس، وبخاصة من عمها، فقد كان يعلن للجميع:

أن هذه الفتاة ليست متزنة! لماذا تنشر أشعارها فى المجلات؟ وماذا تفيدها كتابة الشعر؟ إنها فتاة غريبة الأطوار.. منطلقة.. تصرفاتها تخلق لنا مشاكل..

المجرد أننى شابة، وصريحة، وأكتب الشعر، يجب أن أحاكم فى هذا البلد؟

وانطلقت الفتاة كما أرادت، استقلت وحدها فى سكن خاص هى وأختها الصغيرة، عرفت صديقها الفنان الكهل، أحبته، وأحبها.. وكانت تعرف عنه أن قلبه أشبه بالمتحف.. يضم تحفًا من العشيقات.. وأنه لا يحب المرأة.. ولكن يحب فنه فى أية امرأة..

كل امرأة جديدة نغمة يستغلها فى وضع لحن جديد!

وقد أبدعت المؤلفة فى رسم شخصية البطلة، وشخصية البطل، وشخصية المجتمع..

ولكن هل (أيام معه) قصة ؟

ربما كانت عناصر القصة متوافرة فيها، الجو، والشخصية، والتحليل النفسى، والتحليل الفكرى.. ولكن الشخصيات ثابتة، والأفكار محددة..

إن قصة (أيام معه) أشبه بالغدير الصافى.. ولا ينبغى أن تكون القصة غديرًا، وإنما يجب أن تكون نهرًا يجرى ويتجدد. القصة حياة تنمو وتكبر.. وليست مناظر محدودة، ووقائع مقررة.

ما أشبه كتاب (أيام معه) بمؤلفته.. ليس للمؤلفة كل ملامح المرأة الجميلة.. ولكن فيها كل جاذبية المرأة الجميلة.. وكذلك (أيام معه) ليس فيها كل ملامح القصة، ولكن فيها كل جاذبية القصة!

وأسلوب كوليت خورى مثلها، أحيانًا يخلو من مساحيق الاستعارة والإغراق فى التشبيه، وأحيانًا تتراكم عليه المساحيق.. وتغدو بعض فقراته كما لو كانت معطرة!

إن كتاب (أيام معه). ليس قصة، ولكن لوحات فنية، أشبه بالاعترافات. وقد استطاعت كوليت خورى أن تعترف.. بصدق، وحرارة وأنوثة!

obeikandl.com

الفن والتعايش السلمى

اتجاهات غنائية متناقضة. جديد وقديم. ألحان سريعة متلاحقة، نغمات بطيئة مسترخية، أصوات ترتفع فوق الموسيقى، موسيقى ترتفع فوق الأصوات، نبرة حماسة، ورنة مرح.. رقص شرقى، ولوحات باليه، أذواق متعددة مختلفة!..

كانت هذه هى السمات الفنية لحفلة الجمهورية التى أقامتها فى سينما ريفولى اليوم، وهى الحفلة المخصص إيرادها لطلبة الجامعات.. وساهم فيها كل الفنانين.. وقد لقوا جميعًا، على اختلاف نزعاتهم، وألوانهم، إعجابًا جارفًا من الجمهور..

كانت النغمة الشرقية تعيش فى أذواقنا مع اللحن الأجنبى فى مساواة وحسن جوار.. كانت الرقصة الشرقية تشيع فى نفوسنا نفس المتعة التى أشاعتها لوحات الباليه.. الليالى والمواويل عبرت عن كل المعانى التى عبرت عنها الأناشيد والمقطوعات الغنائية والموسيقى المجردة من الكلمات.. هكذا عاشت أذواق الفنانين، وأذواق الجماهير فى سلام..

إن التعايش السلمى يتحقق بين العائشين المتعددين إذا

كان هدفهم واحدًا.. وقد كان هدف الفنانين - على تباين أذواقهم - أن يقفوا بجوار الطالب الجامعى الذى يريد.. ولا يستطيع!

وقد حققوا الهدف الواحد، بالوسائل المختلفة.. وحققوا فكرة الملاءمة بين الاتجاهات الفنية. أثبتوا قدرتهم على تحقيق التعايش السلمى، والتنافس السلمى!

التشاؤم والتفاؤل

لماذا نتشاءم، ولماذا نتفاءل؟ هناك من يذهب إلى أن التشاؤم والتفاؤل لفظان مختلفان لمعنى واحد، هو الوهم.. فالمتفائل إنسان يرى ضوءًا غير موجود، والمتشائم إنسان يحاول إطفاء ذلك الضوء غير الموجود!

وهذا كلام مريح، ولكنه ليس الحقيقة.. فنحن فى حياتنا نتشاءم من ناس، وأيام، وأرقام، ونتفاءل بناس، وأيام، وأرقام..

وقد حاولت عبثًا أن أتحرر من هذا الوهم، أو هذه الحقيقة، ومازلت إلى اليوم أتشاءم من الرقم الذى يلى رقم

obeikandi.com

١٢ فى الصعود.. فلا أكتبه، ولا أنطقه، وفى حياتى أشخاص إذا رأيتهم واجهت يومًا ضاحكًا، وأشخاص إذا رأيتهم واجهت يومًا عبوسًا!

ولم يكن بد من أن ألقى صباح اليوم واحدًا من هؤلاء!!

استقبلته فى البيت، واعتزمت أن أعتكف طول النهار حتى لا أتعرض لخطر مجهول.. ولكنى اضطررت إلى الخروج لعيادة صديق مريض لم أعلم بمرضه إلا أمس، وذهبت إلى المستشفى فعلمت أن الصديق غادره من عشرة أيام مضت، فحمدت الله.. وفى المساء تلقيت نعى صديق!

وذهبت إلى دار الفقيد لأؤدى واجب العزاء، فلم أجد أحدًا فى الدار. وسألت الجيران عن المأتم، وقيل لى إن المأتم أقيم فى البلد منذ أسبوع..

وفهمت أن ما ظننته نعيًا للفقيد لم يكن إلا شكرًا من الأسرة للمعزين!

وكانت سيارة أجرة تنتظرنى، فركبتها وطلبت من السائق أن ينطلق بى فى شارع الهرم، فقد كنت فى حاجة إلى هواء طلق. ولما وصلنا إلى نهاية الشارع، أشرت إلى السائق أن

ينتظر أمام أحد المطاعم، وهناك طلبت دجاجة خالية من العظام، وأحضر لى الجرسون عظامًا خالية من الدجاج! ونهضت لأدفع الحساب، فلم أجد حافظة النقود، وخرجت إلى الشارع أبحث عن السيارة فوجدتها، ولكنى لم أجد فيها حافظة النقود!

وسألت السائق: هل يستطيع أن يقرضنى جنيهًا؟.. وأعطانى الجنيه، ودفعت ثمن العشاء، وركبت السيارة عائدًا إلى بيتى.. وقال لى السائق: هل بحثت جيدًا فى جيوبك عن حافظة النقود؟.. ولم أجبه بشىء، فقد كنت واثقًا من أن نقودى ضاعت فى سيارته.. وأنه وجدها، وأخذها!

ولما وقفت السيارة أمام البيت، نزل السائق، من مكانه، وأدخل رأسه فى الجزء الخلفى من السيارة، وأشعل عود كبريت، وفتش تحت الكنبة، فوجد حافظة النقود، فقدمها لى وهو يحمد الله.. شعرت بخجل شديد لأنى أسأت به الظن، وأعطيته حسابه، وكافأته على أمانته بثلاثة جنيهات.

هذه المضاعفات كان يمكن أن تقع لى دون أن أرى واحدًا ممن يثيرون تشاؤمى.. ولكنها لم تقع إلا بعد ما رأيت هذا الواحد فعلا!

إن المنطق يهزأ من المتفائلين والمتشائمين.. ولكن هل نحن نسير فى حياتنا بالمنطق؟

إننا نقف، ونتحرك، ونعيش بهواجس نفسية مبهمة، وقد نستطيع أن نسيطر أحيانًا، على هواجسنا، ولكن الهواجس تعود وتسيطر علينا فى أكثر الأحيان!

openeikandl.com